



نحن قوم أعزنا الله بالإسلام

(006) سورة الأنعام

خطبة جمعة

2025-04-04

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومقرع كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هداك، وكيف نذل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً.

التمكين والاستخلاف في كتاب الله تعالى وعداً يستحقه من يُقدِّمون أسبابه:

وبعد أيُّها الإخوة الكرام: لقد شاء الله لأمة الإسلام، أن يكون التزامها بدينها، وتمسُّكها بكتاب ربِّها، مؤشراً لعزتها ولكرامتها، والتمكين لها، لذا كان التمكن والاستخلاف في كتاب الله تعالى، وعداً يستحقه من يُقدِّمون أسبابه، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)

(سورة النور)

وقال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)

(سورة الحج)

فجعل الله تعالى الاستخلاف وعداً، وجعل التمكين وعداً منه جلّ جلاله، فهو لم يأمرنا ابتداءً بالاستخلاف أو التمكين، لكنه جعله وعداً وأمرنا بتقديم أسبابه، وطلب منا بعد تحقّقه مطالب، فأما ما يؤدّي إلى الاستخلاف والتمكين، فهو الإيمان والعمل الصالح، والعبادة مع التوحيد لله تعالى، فعباد الله الموحّدون، الذين آمنوا به حقاً وعملوا الصالحات، التي تبنّوا عن إيمانهم بالله تعالى، هؤلاء يستحقّون الاستخلاف والتمكين في الأرض، ثم ما المطلوب منهم بعد ذلك؟ قال: (الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ) تابَعُوا ما هُمْ فيه، من إقامة العلاقة الصحيحة مع الله (وَأَتَوُا الزَّكَاةَ) تابَعُوا ما هُمْ فيه من الإحسان إلى المخلوقين (وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) حتى تضيق دوائر الباطل حُكماً، فتتسع دوائر الحق حُكماً، فإذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، كان ذلك تضيقاً لدوائر الباطل، وتوسيعاً لمساحة الحق.

إذا الوعد بالاستخلاف والتمكين في كتاب الله تعالى، يسبقه إيمانٌ وعملٌ صالح، وعبادةٌ وتوحيد، ويعقبه إقامةٌ للصلاة كما يرضي الله، وإيتاءٌ للزكاة، إحسانٌ إلى المخلوقين مع أمرٍ بالمعروف ونهيٍ عن المنكر.

أمة الإسلام كلما زاد تمسُّكها بدينها ارتفع شأنها بين الأمم وعلا مقامها:

أُثِّمُوا الإخوة الأحباب: أمة الإسلام، كلما زاد تمسُّكها بدينها، ارتفع شأنها بين الأمم، وعلا مقامها، وكانت كلمتها هي العليا، وفي الوقت نفسه كلما بُدِّدت عن دينها، وأضاعَت منهج ربِّها، وانحطَّت دنياها، لقيت الغي من أعدائها، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَصَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ ۖ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (59)

(سورة مريم)

ولقد فهم عملاق الإسلام سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه، هذا القانون الذي مفاده، أنَّ أمة الإسلام كلما تمسَّكت بدينها، علا شأنها بين الأمم، فهم عمر رضي الله عنه القانون، فقال قولته المشهورة: "نحن قومٌ أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أدلنا الله".

ولا تسألني عن الأمم الشاردة عن منهج الله، ولا تقل لي كيف ارتفع ذكرُها وعلا سلطانها، وكيف أصبحت كلمتها هي العليا على شعوب الأرض، فقانونهم غير قانوننا، وسُنَّة الله فيهم غير سُنَّة الله فينا، نحن قومٌ أعزَّنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أدلنا الله، وعندما تخرُج عن منهج الله، فسُنَّة الله فينا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلْوَنِ ۖ ذُوْنَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)

(سورة السجدة)

لأننا مطلوبون لرحمة الله، ومطلوبون للعناية الإلهية، فما إن تنحرف البوصلة، حتى يأتي التأديب الإلهي، لنعود إلى الجادة، ولنعود إلى منهج ربنا، فيكون لنا النصر والتمكين، هذه سُنَّة الله لنا ما دمنا نفتخر ونقول نحن أمة الإسلام، نحن الأمة التي شرَّفها الله تعالى، نحن الأمة التي كَرَّمها الله تعالى، ما دمنا من أمة الإسلام، فهذا قانوننا، نحن في العناية الإلهية، إمَّا أن نكون على الطريق، أو أن نوذَّب حتى نعود إلى الطريق.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)

(سورة الأنفال)

قانون الأمم الشاردة عن منهج الله تعالى:

إياك أن يؤتى الإسلام من الثغر الذي ترابط عليه ولو من معصية تُصَرَّ عليها:

أيُّها الإخوة الكرام: والجندي سلاحه يحملُه ليدافع عن دينه وعرضه، أنت على ثُغْرَةٍ من ثُغَرِ الإسلام، فلا يؤتِيَنَّ الإسلام من قِبَلِكَ، حافظ على الثغر الذي أنت فيه، وإياك أن ينال الأعداء أمتك، من الثغر الذي أنت مرابطٌ عليه.

أيُّها الكرام: يقول الحسن: "إنما المسلمون على الإسلام بمنزلة الحصن"، نحن نراقب حصناً، نحن على الإسلام بمنزلة الحصن، فإذا أحدث المسلم حدثاً، مهما بدا هذا الحدث يسيراً، مهما بدا بسيطاً، أقام حفلةً مختلطةً لا تُرضي الله، هذا أحدث حدثاً في الإسلام، أحدث ثلثة، لا تقل لي ماذا فعلت؟! فعلت، إذا غشَّ مسلماً أحدث في الإسلام حدثاً، إذا سبَّ وفحشَ في الكلام أحدث في الإسلام حدثاً، مهما كان الحدث بسيطاً، أنت على ثغر، قال: **فإذا أحدث المسلم حدثاً، ثَغَرَ في الإسلام من قبله**، ثغرة، فإن أحدث المسلمون كلهم، فأنثت أنت على الأمر الذي لو اجتمعوا عليه لقام الدين لله، لا يؤتِيَنَّ الإسلام من قِبَلِكَ، احفظوا هذه العبارة يا أحبائنا وأنا أحفظها معكم، "لا يؤتِيَنَّ الإسلام من قِبَلِكَ"، قد ينال الأعداء شيئاً من ديننا، لكن إياك أن يكون ذلك من الثغر الذي أنت عليه، لا يؤتِيَنَّ الإسلام من قِبَلِكَ، إلزم الثغر الذي تُثَقِّن سُدَّه وقَلِّدْ فراغه، ولو ترك الناس كلهم ثغورهم، نحن نتحدث دائماً عن بعض الرُماة على جبل أحد، وكُم من جبلٍ غادرناه وتركناه ثَغْراً لأعدائنا.

لا تبرحوا أماكنكم فما زال في جُعبتنا من السهام ما ينبغي رميه على الأعداء:

النبي صلى الله عليه وسلم أيُّها الكرام، جعل على جبل أحد خمسين رجلاً، وأمَرَ عليهم عبد الله بن جُبَيْر، ثم قال، هذا درس للتاريخ وليس خاصاً بجبل أحد:

{ عن التبراء قال : جعل رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرُّمَّةِ يومَ أُحُدٍ وكانوا خمسين رجلاً عبدُ اللَّهِ بنُ جُبَيْرٍ، وقال: **إن رأيتمونا نَحْمِلُنا الطَّيْرَ، فلا تبرحوا من مَكانِكُمْ هذا حتَّى أُرْسِلَ لَكُم،** وإن رأيتمونا هَرَمَنا القومَ وأوطأناهُم فلا تبرحوا حتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُم. قال: فَهَرَمَهُمُ اللَّهُ. قال: فأنا واللهِ رأيتُ النَّسَاءَ يُسَيِّدْنَ على الجبلِ، فقال أصحابُ عبدِ اللَّهِ بنِ جُبَيْرٍ الغنِمةُ أي قومِ الغنِمةِ : طَهَّرْ أصحابُكُم فما تَنَظُّرونَ؟ فقال عبدُ اللَّهِ بنُ جُبَيْرٍ: أُنَسِيتُمْ ما قالَ لَكُم رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فقالوا: واللهِ لتَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلُصُصِيَّ مِنَ الغنِمةِ، فَأَتَوْهُم فَضَرَبَتْ وجوهَهُم وأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ }

(أخرجه البخاري وأبو داود وأحمد)

لو بدأت الطير تنهش في جنتنا، يعني المعركة انتهت منذ زمن، فلا تبرحوا أماكنكم حتي أرسل إليكم، حتى يأتي أمرٌ معاكس (وإن رأيتمونا هَرَمَنا القومَ وأوطأناهُم) انتهى القوم، أوطأناهم بأقدامنا، انتصرونا نصراً عزيزاً مؤثراً (فلا تبرحوا حتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُم)، فلما هُزِمَ المشركون قال الرُّمَّة: الغنِمة، أي قوم الغنِمة، انتهى صار وقت الغنائم، انتهى وقت المعركة فماذا تنتظرون؟ قال عبد الله بن جُبَيْر، وبقي معه عشرة رجال فقط، والأمير عبد الله بن جُبَيْر، قال: (أُنَسِيتُمْ ما قالَ لَكُم رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟) لا تبرحوا مكانكم، لا تبرح مكانك أخي المسلم، لا تترك مكانك، المعركة لم تنتهِ، ما زلنا على الثغور، ما زال الأعداء يترصُّون بنا، ما تزال قوى الشرِّ في مشرق الأرض ومغربها، تنتظر الثغرة لتدخل منها.

فإياك وإياي أن تكون الثغرة التي يدخل منها الأعداء معصيتنا لرَّبِّنا، أو تركنا لمكاننا، أو تركنا للمهمة التي كُلِّفنا الله بها، اسْتَشْهَد عبد الله بن جُبَيْر، وخُلِّد اسمه في التاريخ، مع عشرةٍ من الرجال من بين خمسين رجلاً، عشرون بالمئة تَبَيَّنوا ولم يؤتِ المسلمون في أحد من قبيلهم، فقط عشر رجال من خمسين، عشرون بالمئة، رفضوا أن يتركوا ثغورهم، واستشهدوا على جبل الرُّمَّة، وسُمِّوا في سجل الخالدين إلى يوم القيامة، أنهم القوم الذين لم يبرحوا مكانهم، ولم يتركوا الثغر الذي كُلِّفوا به، ولم يصعوا أسلحتهم.

أيُّها الإخوة الأحباب: أهلنا في غرَّة يتعرضون لحملة إبادة مُمنهجة، وعلى مرأى العالم وبصره وتأييده، هؤلاء الذين صدَّعوا رؤوس الدنيا بحقوق الإنسان، هؤلاء والله لا يعرفون شيئاً، لا عن الحقوق ولا عن الإنسان، فقد داسوا بحوافرهم على كل قيمة، وعلى كل مبدأ، وأعانوا على أن تكفر بهم، وبمذنباتهم المُرتَّبة، وبحضارتهم البائسة، وبقوتهم المتعطسة، وبكلامهم المعسول الذي لا يُقدِّم ولا يُؤخِّر.

وعُدُّونا دخل أرضنا، واستشهد على أرضنا من أهل درعا الكرام من استشهد، ممن رفضوا أن يُدَّس العدو دارهم وأرضهم، فرحم الله شهداء غرَّة، ورحم الله شهداء درعا، وأعلى مقامهم في علِّين، وانتقم من الصهاينة المجرمين.

لم تنتهِ المعركة والمخاض عسير وما بعده ولادة أمةٍ من جديد:

أيُّها الإخوة الأحباب: لا لم تنتهِ المعركة، والمخاض عسير وما بعده ولادة أمةٍ من جديد، وقد برزت أنوار هذه الولادة تلوح في الأفق، وما هذا الاستشراس من هذا القابع في البيت الأسود، وذاك المُجرم في ما يُسمَّى تل أبيب، إلا والله أعلم بداية النهاية، لأنهم يزيدون في غلهم وحقدهم وعطرساتهم، والله تعالى الجبار سينتقم منهم كما انتقم من أسلافهم، وقد رأينا بأمِّ أعيننا انتقام الله تعالى، إنَّ أشدَّ ساعات الليل حلكةً وظلمة، هي تلك التي تسبق بزوغ الفجر، وكما إذن الله تعالى بإجلاء الاحتلال الصفوي عن أرضنا، فإنه بإذن الله سيأذن بجلاء الاحتلال الصهيوني.

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَك الموت قد تخطَّنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمتَّى على الله الأمانى، وأستغفر الله.

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيدٌ.

مُلَخَّص الخطبة: أنت على ثَغْرِ فلا تتركه:

أيُّها الإخوة الأحباب: مُلَخَّص خطبتنا، أنت على ثَغْرِ فلا تتركه، لا تضعوا أسلحتكم، المعركة لم تنتهِ، والسلاح متنوِّع، وكلُّ مَثٍّ يعرف سلاحه، ويعرف كيف يستخدمه، إياك أن يؤتى الإسلام من الثغر الذي ترابط عليه، ولو من معصيةٍ لله تُصَرَّ عليها، لا تبرحوا أماكنكم، لا تنزلوا من على جبل الرماة، فما زال في جُعبتنا من السهام ما ينبغي رميه على الأعداء، ولنبشِّر جميعاً إن شاء الله إن ثبتنا، بنصر الله تعالى.

الدعاء:

اللهم إلبك نشكو ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس، ربِّ المستضعفين وأنت ربُّنا، إلى مَن تكلنا، نعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض، وصلِّح عليه أمر الأولين والآخرين، أن يحل علينا غضبك، أو ينزل بنا سخطك، لك الغنبي حتى ترضى، لكن عافيتك أوسع لنا.

اللهم إنا نسألك أن تُفَرِّجَ عن أهلنا في غرَّة، فرجاً عاجلاً غير آجل يا أرحم الراحمين، وأن تغفر لنا تقصيرنا فأنت أعلم بحالنا.

اللهم أطعم جائعهم، واكس عاريهم، وارحم مُصابهم، وآوِ غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً مُتَقَبَّلاً وسهماً صالحاً يا أرحم الراحمين.

اللهم يا أكرم الأكرمين، يا مُجري السحاب، يا مُنزل الكتاب، يا سريع الحساب، وباهازم الأحزاب، اهزم الصهاينة المُعتدين وقن والأهم وقن أيدهم وقن وقف معهم، في سرٍّ أو في علن.

اللهم أنزل على أهلنا في عِزَّة من الصبر أضعاف أضعاف ما نزل بهم من البلاء، فإنك وليُّ ذلك والقادر عليه يا أرحم الراحمين.

يا ربِّي قد عمَّ الفساد فنَجَّنَا، قلَّتْ حيلة فتولَّنَا، ارفع مقتك وغضبك عَنَّا، لا تعاملنا بما فعل السفهاء مِنَّا، ربنا اكشف عَنَّا العذاب إِنَّا مؤمنون.

اللهم إِنَّا نسألك أن ترحم شهداءنا في درعا، وأن ترحم شهداءنا في عِزَّة، وأن ترحم شهداءنا في كل مكانٍ يُعلَى فيه اسمك ويذكر فيه اسمك يا الله.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً سخياً رَحباً مطمئناً، وسائر بلاد المسلمين، ووفق القائمين عليه للعمل بمرضاتك، واجعل بلادنا مستظلةً بكتابك وبِسُنَّة نبيِّك صلى الله عليه وسلم، سبحان ربك رب العزة عَمَّا يصفون وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

نور الدين الاسلامي